حرب الوجود والدفاع عن الوجود

فيصل حوراني

منذ العام ١٩٤٧، ومع تبدل الظروف العربية والاسرائيلية، ومع تعاقب الحكومات والانظمة وصفوف القادة على الجانبين، ومع توالي السنين والعقود، تتكرر الحروب العربية ــ الاسرائيلية، حرب كبيرة كل عقد، وعشرات الحروب الصغيرة بين كل حربين.

وفي كل واحدة من هذه الحروب، تتبدل عوامل وتتطور اخرى، في حين يظل عدد من العوامل ثابتاً لا يتبدل عبر هذا الصراع العربي ــ الصهيوني، الذي لا يخفت الا ليحتدم من جديد.

وأكثر العوامل ثباتاً واستمراراً في مجرى الصراع العربي ــ الصهيوني برمته هو وجود الشعب العربي الفلسطيني واستهداف اسرائيل لهذا الوجود، بوصفه النقيض الأكثر حدة لوجودها ذاته.

بدأ الأمر هكذا منذ بداية الصراع ضد الصهيونية، وتأكد عبر تطور هذا الصراع، وتأكد أيضاً، وبصورة خاصة، بعد الاعلان عن قيام اسرائيل، واشتداد حاجتها لتثبيت وجودها، وللتوسع الذي تقرنه اسرائيل بحاجتها لهذا التثبيت.

والعامل الثاني الثابت، وهو عامل مرتبط بالاول، أن كل الحروب العربية ــ الاسرائيلية انطلقت من اسباب تتصل بنشاط الشعب الفلسطيني لحماية وجوده وابرازه، أو استندت إلى هذه الأسباب، ثم امتدت واتسعت فشملت الأطراف العربية، الراغبة أو غير الراغبة، اساساً، في المشاركة في الصراع.

أما العامل الثالث، الثابت هو الآخر، فهو أن الوجود الفلسطيني، الذي تعرض لضربات بدت ساحقة أو شبه ساحقة في كل حرب، كان يعود بعد الحروب، أقول وأكثر فعالية، وكان بعد كل حرب يجد اشكالاً اكثر تقماً للتعبير عن نفسه. ويتصل بهذا العامل ان وتيرة العودة لتأكيد الوجود الفلسطيني من جديد وبعد كل ضربة، اخذت تشتد، وصار بمقدور الشعب الفلسطيني وهو يراكم الخبرات والقدرات، ان يختصر الزمن اللازم من اجل اعادة البناء ومن اجل تطويره.

فلكي تقوم دولة اسرائيل، توجب على المنظمات الصهيونية ان تشن في عام ١٩٤٧ حرب ابادة وتشريد ضد الشعب الفلسطيني، وكانت هذه هي البداية الكبيرة التي اججت الحرب العربية ــ الاسرائيلية عام ١٩٤٨ و ١٩٤٩، واذا كانت هذه الحرب قد افرزت نتائجها المعروفة،